الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥–٨)

يا ولدي تيموثاوس تيقَّظْ في كلِّ شيءٍ واحتَمِلِ المشقَّاتِ واعمَلْ عملَ المبشِّرِ وأَوفِ خدمَتَكَ* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قدِ اقتربَ* وقد جاهدتُ الجهادَ الحسن وأتممتُ شَوْطي وحفظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يجزيني به في ذلك اليومِ الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذينَ يُحبُّونَ ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بَدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيح ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاءنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهك يُهيِّءُ طريقَك قدَّامك* صوتُ صارخٍ في البّريَة أعِدُّوا طريقَ الربّ واجعَلوا سُبلَه قويمةً* كان يوحنَّا يعمّد في البرّيّة ويكرز بمعموديةِ

حول الرسالة

في الأحد الذي يسبق عيد الظهور الإلهي (الغطاس)، تحضّرنا الكنيسة لما سنصبح عليه بعد المعموديّة، لذا تقرأ على مسامعنا فصلًا من رسالة القدّيس بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس (٤: ٥–٨)، وتدعونا من خلاله أنّ نتيقّظ ونثبت في الإيمان، هذا الإيمان الذي نلنا المعموديّة على أساسه. فقد آمنّا وقبلنا أنّ الربّ يسوع المسيح هو ابن الله مخلّص العالم، إنّه إلهنا الذي تجسّد من أجل أن يشركنا معه في محبّته، وأن يمنحنا الحياة الأبديّة.

ترتبط المعموديّة دومًا بالسلوك في طريق الربّ. بالمعموديّة يسكن روح الله فينا فنحصل على قوّة الحياة الأبديّة، على رجاء تحقيقها في مجيء الربّ يوم الدينونة. لذلك يحيا الإنسان المؤمن على الرجاء. هذا يترافق أيضًا مع الإيمان بالربّ يسوع المسيح المخلّص، كما ذكرنا أعلاه، الذي على أساسه نتّحد بالرب بواسطة المعموديّة، وننطلق في مسيرة نحو اليوم الأخير، وهذه المسيرة لها طريق هي طريق المحبّة. هذا ما يذكره لنا الرسول بولس في آخر نشيد المحبّة، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «المحبّة لا تسقط أبدًا، وأمّا النبوءات فستبطل والألسنة فستنتهي والعلم فسيبطل، لأنّنا نعلم بعض العلم ونتنبّأ بعض التنبّؤ. ولكن متى جاء الكامل فحينئذٍ يُبطل ما هو بعض. لمّا كنت طفلًا كطفل كنت أتكلّم وكطفلٍ كنت أفطن وكطفلٍ كنت أفتكر، ولكن لمّا صرت رجلًا أبطلتُ ما للطفل. فإنّنا ننظر الآن في مرآةٍ، في لغزٍ، لكن حينئذٍ وجهًا لوجهٍ. الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذٍ سأعرف كما عُرفت. أمّا الآن فيثبتُ الإيمان والرجاء والمحبّة، هذه الثلاثة، ولكن أعظمهنّ المحبة» (١كور١٣: ٨–١٣).

العدد ٢٠١٥/١

الأحد ٤ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار جامع للرسل السبعين والبار ثاوكتيستس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

من هذا المنطلق تدعونا الكنيسة، ومن اليوم الأوّل لتكوّننا من جديد في المعموديّة على صورة الله ومثاله، أن نضع نصب أعيننا ذلك اليوم، أي يوم مجيء الربّ للدينونة، لأنّه سيحاسب كلّ إنسان حسب أعماله: «فإنّ ابن الإنسان يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذٍ يجازي كلّ واحد حسب عمله» (مت١٦: ٢٧).

غير أنّ مسيرتنا هذه يعترضها الكثير من العوائق، أهمّها تلك التي

تشوّه صورة الربّ يسوع. هذا ما واجهته الكنيسة منذ البدء وهي تواجهه حتّى يومنا هذا، من خلال التعاليم غير الصحيحة التي تنهال علينا من كلّ حدبٍ وصوب، جاعلةً من الربّ يسوع مجرّد إنسانٍ صالحٍ أتى ليصنع إصلاحًا إجتماعيًّا. علينا أن ننتبه جيّدًا، لأنّه إن تشوّهت صورة الربّ يسوع تشوّهت صورتنا نحن. الربّ يسوع هو إلهنا الذي تنازل واتخذ طبيعتنا لأنّه يحبّنا، وهذا طبيعي جدًّا لأنّه هو خالقنا، وبذل نفسه واحتمل عار الصليب ليخلّصنا من سلطة الموت علينا فننال الحياة: «لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣: ١٦).

لقد أتانا الربّ بصورة العبد المتواضع، غير أنّ الإنسان لا يحتمل دائمًا هذه الصورة، لا بل يرفضها، ويرفض معها صاحب الصورة أيضًا. ولا يكتفي برفض صورة الربّ يسوع الوديع والمتواضع، بل يسعى إلى محوها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يسعى الإنسان إلى رسم صورة مغايرة للرب يسوع، فيظهره بمظهر المتسلّط البطّاش الذي يسعى إلى تدمير أعدائه، فتكون مهمّة ذلك الإنسان تنفيذ المخطّط الذي وضعه لنفسه، ألا وهو تدمير الأعداء باسم المسيح نفسه. وهكذا تتبنّى الصورة وعوض أن يكون الرب يسوع ذاك الإله الذي أتى ليخلّص العالم، يصبح ذاك الذي أتى ليقتل كلّ من يقف في طريقه.

وإذا قرأنا الفقرة التي تسبق مقطع الرسالة الذي قُرئَ على مسامعنا، نفهم معنى دعوة الرسول بولس إلى تيموثاوس إلى التيقّظ في كلّ الأمور واحتمال المشقّات، كما نفهم سعيه إلى حفظ الإيمان: «أنا أناشدك إذًا أمام الله والربّ يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته. أكرزْ بالكلمة، أعكفْ على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب. وبّخْ، إنتهرْ، عِظْ بكلّ أناةٍ وتعليم. لأنّه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصّة يجمعون لهم معلّمين بسبب استحكاك آذانهم، فيصرفون مسامعهم عن الحقّ وينحرفون إلى الخرافات. وأمّا أنت فاصحُ في كلّ شيء، إحتمل المشقّات، إعمل عمل المبشّر، تمّمْ خدمتك» (٢تيم٤: ١–٥).

محبّتنا للربّ يسوع المسيح تدفعنا أن نجاهد لتطبيق وصاياه فنثبت فيه، أو بالأحرى يثبت هو فينا ويقيم معنا: «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبّتي، كما أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبّته» (يو١٥: ١٠)؛ «إن أحبّني أحد يحفظ كلامي ويحبّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣).

في كل مرة نواجه الصعوبات والمشقّات نتساءل: هل نحن نحبّ الربّ حقًّا؟ وهل نسعى فعلاً لتطبيق وصاياه حتّى محبّة الأعداء؟ هل نثبت في محبّته؟ لقد سبق الربّ وأخبرنا بما سنواجهه حتّى لا نتخلّى عنه في الضيقات، وليس فقط في الضيقات بل في مواجهة الموت نفسه: «قد كلّمتكم بهذا لكي لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظنّ كلّ من يقتلكم أنّه يقدّم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنّهم لا يعرفون الآب ولا عرفوني. لكنّي قد كلّمتكم بهذا حتّى إذا جاءت الساعة تذكرون أنّي أنا قلته لكم...» (يو١٦: ١–٤).

هدفنا إذاً أن نثبت في الربّ إلى اليوم الأخير، حيث سيظهر لنا التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليهِ جميعُ أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نهرِ الأردنِّ معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يَلبَس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَويْهِ مِنطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّياً* وكان يكرزُ قائلاً إنَّهُ يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحُلَّ سَيْرَ حِذائه* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمّدكم بالروح القدس.

تأمل

«وكان يوحنا يَلبَس وَبَرَ الإبلِ ومِنطقةً من جلد على حَقَويْهِ».

كان لباسه من وبر الإبل لكي يُعلّم من خلال مظهره أن نتحرّر من الأمور البشرية وأن لا تكون عندنا أية علامة مشتركة مع الأرض بل أن نعود إلى حالتنا السابقة أي قبل أن يشعر آدم بضرورة اللباس. هكذا فإن مظهره كان رمزاً للملكوت وللتوبة.

ولا تسأل كيف وجد لباس الشعر والزنار وهو ساكن في البرية. إن حرّك هذا الأمر فضوليتك سوف

تنشغل بأمور أخرى كذلك مثلاً: كيف بقي في البرية مع الجليد والحرّ خاصة بجسده الضعيف وهو طفل؟ كيف استطاع جسد الطفل أن يكابد الأحوال الطقسية القاسية مع طعام غريب وكل قساوة البرّية؟

يسكن البرّية وكأنها سماء عائشاً حياة فاضلة. ومن البرّية كملاك آت من السماء كان ينزل إلى المدن. كان متمرّناً في التقوى، ظافراً عالمياً، فيلسوف فلسفة السماء. كل ذلك حصل بينما الخطيئة لم تكن بعد قد امّحت ولا الناموس أُلغي ولا الموت قُيّد ولا أبواب الجحيم الحديدية تحطّمت. كان الوضع بعد على قدمه. تقول عندها نحن أمام نفسٍ شجاعةٍ ساهرةٍ سبّاقة في كل شيء ومتجاوزة للأعراف المعتادة. هكذا كان بولس الرسول في عهد النعمة الجديد.

ورب سائل لماذا الزنار؟ هو من عادة لباس القدماء قبل الوصول إلى الرداء الناعم. بطرس وبولس يستخدمان أيضاً الزنار (أنظر أعمال ٢١: ١١) وكذلك إيليا وكل قديس لأنهم كانوا بصورة دائمة مشغولين بتعب ما، بسفر أو بأي عمل استعداداً لما يأتي. لا بسبب كل ذلك بمجده، فندخل إلى فرحه ونرث ما أعدّه لنا منذ الابتداء، والذي كنّا قد فقدناه بسبب معصيتنا، أي بسبب عدم طاعتنا له. هكذا نحقّق معموديتنا من خلال إعادة الصورة التي سقطت بمعصية آدم، ويصير قول الرسول بولس قولنا نحن: «قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيرًا وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديّان العادل» (٢تيم٤: ٧–٨).

ليتورجية عيد الظهور الإلهي

تسبق الأعياد الكبيرة في الكنيسة فترة تهيئة يستعد فيها المؤمنون لاستقبال هذه الأعياد. هكذا تسبق عيد الظهور الإلهي فترة تهيئة تمتّد على مدى خمسة أيام. في هذه الفترة، كما في صلوات الميلاد، تُحاكي تراتيلُ فترة التهيئة فصحَ الربّ، موتَه وقيامتَه.

نقرأ في خدمة صلاة السحر لليوم الثاني من كانون الثاني «إنَّ العيد الماضي، عيد ميلاد المسيح، قد حصل أشدّ بهاء من الشمس. أمّا العيد الآتي، عيد ظهوره الإلهي، فيبدو متلألئاً وكلّي الضياء. في ذاك رعاة قد سجدوا ممجِّدين مع الملائكة إلهاً متأنساً، أمَّا في هذا فيوحنا لما لامس هامة السيد بيده اليمنى برعدة قائلاً قدّسني والمياه أيها المالك وحده الرحمة العظمى». وفي صلاة غروب تقدمة العيد نقرأ «إنَّ العيد الماضي لبهيّ وإنّ اليوم الحاضر لمجيدٌ، في ذاك مجوس سجدوا للمخلّص وفي هذا عبدٌ قد دُعي ليعمّد السيّد، هناك رعاةٌ ساهرون أبصروا وتعجّبوا وهنا صوت الآب قد كرز بالإبن الوحيد».

يقول أحد اللاهوتيين «هناك سبب وجيه لظهور الرب العلني في المعمودية. فالمعمودية رمز الموت والقيامة، رمز التوبة عن الخطايا وغفرانها. أتى المسيح ليقدّس الخليقة كلَّها، لذلك هي رمز التقديس والجدّة اللامعة. ففعل المعمودية يحتوي رمزيّاً كامل سرّ المسيح، كل هدف مجيئه». وفي مكان آخر، «إنَّ احتفال الكنيسة بعيد الظهور الإلهي يجعل المؤمن قادراً على رؤية يسوع بكلّ إجلال، داخلاً المياه ليشارك الإنسان حالتَه الساقطة وينهي وضعها ويخلقه من جديد للحياة في ملكوت الله»، وهذا ما تظهره صلاة سحر الثالث من كانون الثاني «لقد جاء المسيح الذي حصل متمّماً الشريعة بحسب الجسد ليتمّم باكورة الخلاص في الأردن بما أنَّه المتحنن، فيحني هامته للصابغ الهاتف بإيمان لنهتفنَّ أيها الشعوب قائلين مباركٌ أنت يا إلهنا الظاهر، المجد لك».

فمعموديّة يسوع في نهر الأردن تحتوي كلّ أسرار خلاصنا. إنها الظهور الأول للثالوث القدّوس. لذلك نقرأ في صلاة النوم ليوم الثالث من كانون الثاني «لنذرفنَّ أيها المؤمنون ينابيع عَبَرات من أعيننا، ونطهّر كل أدناس النفوس، ونشاهد نوراً مثلَّث الضياء، بإتيان المسيح ليعتمد، الذي له يشهد الآب من السماء ويبدو حضور الروح القدس بهيئة حمامة».

نذكر في ليتورجيّة العيد أيضاً نهر الأردن الذي لعب دوراً مهماً في الكتاب المقدس، إذ انه قبل أن يكون النهر الذي اعتمد فيه المسيح هو النهر الذي يحدّ «الأرض الموعودة». فالأردن انشق ليعبر يشوع بن نون ومن معه (يش١: ١ –٢) حاملين

تابوت العهد معهم عند خروجهم من مصر (يش٣: ١١–١٣). من هنا تُرتل الكنيسة في عيد الظهور الإلهي المزمور ١١٤ كرمز مسبق لفعل الله الخلاصي الذي سيشمل كلّ الشعوب. وكما حدث مع يشوع، هكذا كان مع إيليا لما عبره مع أليشع تلميذه. كما يذكر التقليد إنَّ النبي إيليا قد صعد إلى السماء من الأردن . ومياه الأردن شفت أيضاً نعمان السوري عندما اغتسل فيها (٢مل ٥: ١٠–١٤) وكان شفاؤه علامة للتطهير والخلاص الذي سيُعطى لكل الشعوب وليس فقط لإسرائيل. يقول أحد اللاهوتيين «فقط في الأردن، في معموديّة المسيح، نطهر من كلّ خطايانا. عبر الأردن فقط ندخل أرض الأحياء، مملكة الله الموعودة. بمياه الأردن المتقدسة (المعموديّة) يقدّسنا الله إلى الأبد». وفي ليتين غروب العيد نرنّم «إنَّ الصابغ ارتعدت يده لما لامس الهامة الطاهرة، ونهر الأردن رجع إلى الوراء إذ لم يجسر أن يخدمك، فإنَّ الذي احتشم من يشوع بن نون كيف لا يجزع من خالقه. إلا أنَّك يا مخلّصنا قد تمّمتَ كلَّ تدبير، لكي تُخلِّص العالم بظهورك، أيها المحب البشر وحدك».

«فلنسبّح أيها المؤمنون عِظَمَ تدبير الله الجاري لأجلنا، لأنَّ الذي هو وحده نقيٌ وبريءٌ من الدنس، إذ قد صار إنساناً بسبب سقطتنا، فهو يطهّرنا في الأردن مقدِّساً إيانا والمياه، وساحقاً رؤوس التنانين في الماء. فلنستقِ أيها الإخوة ماءً بسرور، فإنَّ الذين يستقونه بإيمانٍ تُمنح لهم نعمة الروح بحالٍ غيرِ منظورة من لدن المسيح الإله المخلّص نفوسنا» (من تراتيل عيد الظهور الإلهي).

فيا من قَبل أن يعتمد من يوحنَّا في الأردن لأَجل خلاصنا، أيها المسيح الإله ارحمنا وخلّصنا، آمين.

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ٦ كانون الثاني ٢٠١٥ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

حفلة الميلاد

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس أقام مكتب التربية المسيحية في الأبرشية وشبكة مدارس Eduvation (البشارة الأرثوذكسية، والأقمار الثلاثة والسيدة ـ رأس بيروت) حفلاً ميلادياً في العشرين من كانون الأول ٢٠١٤ شارك فيه حوالي ألف ومئة طفل وطفلة وشاب وشابة من أبناء رعايا أبرشية بيروت وتوابعها، تتراوح أعمارهم بين ٤ و١٦ سنة. بداية اشترك الجميع في القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس ثم انتقلوا إلى مدرسة البشارة الأرثوذكسية حيث حضر قسم منهم مسرحية للأطفال وقسم آخر شارك في ألعاب ترفيهية تثقيفية. وانتهى النشاط بتوزيع الهدايا على الجميع.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

فحسب بل وأيضاً لأنهم كانوا يزدرون كل زينة ويبحثون بصورة متواصلة عن السيرة التقشفية. هذا ما كان محطاً لمديح السيّد عندما قال: «ماذا خرجتم لتنظروا أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعّم هم في قصور الملوك» (لو ٧: ٢٥).

إن كان هذا الإنسان الطاهر الفائق على السماء وعلى كل الأنبياء، الذي لم يولد أعظم منه، إن كان مثل هذا الإنسان يتعب نفسه بهذا المقدار، مزدرياً بشدة بالملذات الأرضية العابرة وممرّناً ذاته على طريق التقشّف، ماذا نقول وماذا نجيب نحن، الحاصلين على مثل هذه الإحسانات والحاملين مثل هذه الخطايا الثقيلة، لم نقم بالجزء الطفيف الذي يتطلّبه الاعتراف بل استسلمنا إلى السكر، إلى الشراهة وإلى الادّهان بالطيوب. لا نختلف بكل هذا عن زواني المسرح. نتعب أنفسنا ونجعلها مصيدة سهلة للشيطان.

القديس يوحنا الذهبي الفم